المسلمون الاجتماعيّون

بيان الرسائل الثلاث

المسلمون الاجتماعيّون

1

رسالة إلى الأحرار من الأمّة العربيّة والبشريّة عمومًا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

وبعد،

فإنّنا إذ نشاهد جميعًا وجه الإمبرياليّة الأطلنطيّة الكالح، والتناقض الصارخ بين القيم المدّعاة ليبراليًّا والسياسات الرأسماليّة المعادية للإنسانيّة، فمنّا من يطالع تفاصيل هذا التناقض ويتعجّب، ومنّا من يطالعها ويؤكّد على رؤيته السابقة، ومنّا من يرزح تحت نير الاحتلال، ومنّا من يعاني ويلات القصف والقتل الذي فاق كلّ تصوّر وإن غالى صاحبه في التشاؤم، ومنّا من يشعر أنّه بلا صوت في دولته أيًّا كانت، فلا يستطيع أن يفعل شيئا تجاه المذابح والإبادة الجماعيّة حتّى لو كان يحصل على ميزات الحياة في العالم المتقدّم، ولا يستطيع أن يفعل شيئًا تجاه التمييز العنصريّ ضدّ العرب خصوصًا والمسلمين والفقراء عمومًا، وتجاه قتل الفلسطينيّين وتشريدهم...

إنّنا إذ نرى كلّ ذلك، نجد من واجبنا أن نعيد النظر في فهمنا للعالم ككلّ ولأنفسنا إذ نحن جزء منه، نحن المهمّشون في هذا الكوكب الساعي إلى نهايته يطلبها حثيثًا في كلّ جانب من جوانب حياته، وتأتي هذه الرسالة في هذا السياق، لإعادة فهم العالم والإنسان وغايته، متأمّلة في الدين الإسلاميّ خصوصًا، وفي مستقبل الأمّة الواحدة التي تقطن أقطار الوطن العربيّ مهما يكن انتماء أفرادها ومجتمعاتها الإثنيّ أو الدينيّ أو اللسانيّ، ومستقبل غيرها من الأمم الشقيقة الّتي تشاركها المعاناة من شتّى بقاع العالم ومن شتّى أديانه. وأوّل ما يجدر بمن يريد الانتصار لمظلوم ما أن يتحقّق منه هو الأرض التي يقف عليها. وعليه، فإنّنا نبيّن منطلقاتنا:

أوّلًا: الإنسان الحديث محكوم بالتعاسة ما دام مرتهنًا لفرديّته، حتّى لو قضى كلّ حاجاته البيولوجيّة، وفوقها نزواته النفسيّة، فلا بدّ للإنسان من هدف يتجاوز ذاته، ومطمح يتجاوز واقعه. وقد أوجز ذلك شاعرنا البحتريّ إذ قال: "ومِن سَقَمٍ مَبيتُ المِرءِ خُلوًا... بِلا سَقَمٍ يَبيت لهُ رهينا"، فلا مجال للقبول بالفردانيّة منطلقًا لحياة الإنسان

والمجتمعات، ونعني بالفردانيّة هنا اتّخاذ حقوق الفرد وحرّياته محورًا للدولة وسياساتها. هذا مع فهمنا لأهمّيّة الحرّيّة الفرديّة وإقرارنا بحقوق الأفراد، لكنّنا نرفض الفردانيّة منطلقين من رفضنا المصير الحتميّ الذي تؤدّي إليه الفردانيّة من أنانيّة وتمييز بين الناس وتعاسة للفرد بعد اختزاله إلى كائن بيولوجيّ، وإهمال سياقاته المجتمعيّة، وإلغاء للثقافات الجماعيّة التي تشكّل الغالبيّة المهمّشة في العالم.

ثانيًا: ثمّة قيم كونيّة غير محدودة في الزمان والمكان، بل وإنّها غير محدودة بالبشر، إذ إنّها تضمّ سائر الثدييّات العليا، تصلح أن تكون أساسًا للمجتمعات والدول والتحالفات العابرة للدول، ورغم أنّ وضع هذه القيم في قائمة قد يكون مثار نقاش طويل، إلّا أنّنا نصدّق بوجودها، ونراها البذرة الأساسيّة التي جعلت الإنسان يسير في دروب الفلسفات الأخلاقية والأديان، وسواء أكانت هذه الأديان بشريّة المنشأ أم سماويّة فإنّها تتكئ على هذه البذرة القيميّة الموجودة في الإنسان، فإمّا أن يرعاها، أو يقبل بسيطرة الأعشاب الضارّة على حديقته

النفسيّة. وهذه القيم هي منطلقنا الذي يجمعنا على اختلافاتنا التي قد يراها الآخرون كبيرة، وتقرير ما يدخل في هذه القيم وما يخرج منها أمر خاضع للنقاش العلميّ والفلسفيّ والدينيّ، لكنّنا نرى الاتّفاق على قيمة واحدة كفيلا بالتحلّق حولها.

ثالثًا: إنّنا ننظر للإنسان من منظورات عديدة، أوّلها أنّه كائن صاحب إشكاليّة يحاول حلّها، ونوسّع هذا التعريف ليشمل المجتمعات والدول والأقاليم. بهذا، فكما أنّ الإنسان لا بدّ له من هدف يسعى إليه ليجد لحياته معنى، فإنّ المجتمعات والدول والجماعات لا بدّ لها من أهداف تسعى إليها لتكون، ولا بدّ من توافق هذه الهدف والمسعى مع القيم المركزيّة الموجودة في بذرة الإنسان الأولى. ونجد في هذا الوقت وفي العالم الذي ابتلينا بالوجود فيه، أنّ إحدى الغايات المركزيّة الصالحة لنا هي كبح مسيرة البشريّة نحو الهاوية، فمن يرى أنّ الأمم التي بنت ثروتها وقوّتها على استعباد أجداده، تقود العالم نحو كارثة بيئية وكوارث أخلاقيّة، وتقبل أن يسيّرها كارتيل مصانع السلاح والنفط في الولايات المتّحدة، فلا بدّ له من أن

يضـــع في أهدافـــه الوجوديّـــة أن يـــوقظ العـــالم مـــن غيبوبتـــه، حفاظًا على إنسانيّته هو أوّلًا.

رابعًـا: إنّنـا نـرى أنّ ممّـا أفشـل الحراكـات الـتي نشـطت في هـذا الهـــدف التقـــدّميّ لَهُـــوَ تشـــتيت قوّتهـــا في محاربـــة الأنظمـــة القائمـــة كلّهـــا، أمّـــا نحـــن فنـــرى أنّ في كـــلّ الفلســـفات الجمعيّـــة والأديان الّـــتي تتجـــاوز الفـــرد ولا تتجاهلـــه أساسًـــا صـــالحًا للبنـــاء عليـــه، فـــلا نســـعى في نقـــض بنيـــة مجتمعيّـــة قائمـــة، ســـوى البنيـــة الليبراليّـــة الحديثـــة الّـــتي شـــوّهت الإنســـان وقيمـــه وحياتـــه، ودمّـــرت حديقتـــه الداخليّـــة منطلقـــةً مـــن أنّـــه لـــيس في الفـــرد مـــا يحتـــاج الإصـــلاح، وأنّ كـــلّ خياراتـــه مقبولـــة، وأنّ مـــن واجـــب الدولـــة والمجتمعـــات الحفـــاظ علـــى مـــا سمّتـــه "حرّيّاتـــه" و"حقوقـــه"، فأنتجـــت إنســـانًا معتـــديًا علـــى البيئـــة والمجتمعـــات الأخـــرى وإنســـان المســـتقبل، وتركتـــه عرضـــة لـــرياح الشـــهوات والنـــزوات وجعلتـــه ســـوقًا تبيـــع فيـــه أوهـــام الازدهـــار والثـــراء الفـــاحش، بينمـــا تقضـــي بِنيتهـــا الاقتصـــاديّة بأنّ الخاســـرين في هـــذه المنافســـات المتتابعـــة ســـيكونون الأغلبيّـــة، وســـيكونون تعســـاء فشـــلة، مراهنـــة علـــى وهـــم كـــلّ إنســـان بتفوّقـــه وقدرتـــه علـــى أن ينتصـــر في هـــذا الســـباق الأنانيّ. لـــذلك، فإنّنـــا لا

نهـــدّد أيّ بنيـــة جماعيّـــة قائمـــة، كمـــا لا نتعهّـــدها بالرعايـــة، فللمجتمعـــات الحـــقّ في النقـــد الـــذاتيّ والتحـــوّل مـــن مســـار إلى آخر، كلٌّ حسب سياقه.

خامسًـــا: إنّ الأمّـــة الواحـــدة القاطنـــة في الأرض الـــتي احتـــوت العـــرب منـــذ قـــديم الـــزمن مشـــتركةٌ في المصـــير، بغـــضّ النظـــر عـــن الديانـــة أو الإثنيّـــة أو اللســـان، وبهـــذا فإنّـــه مـــن الطبيعـــيّ أن نبحـــث عـــن عنـــوان يوحّـــدنا، ويضـــمّ إلينـــا كـــلّ مـــا وهبنـــا إيّاه الأجـــداد مـــن قـــوّة ناعمـــة مضـــمّنة في البـــنى الســـابقة، إذ إنّ أرضـــنا منبـــع الأديان الـــتي عمّـــت الكوكـــب، ففيهـــا نشـــأت اليهوديّـــة والمســـيحيّة والإســـلام وديانات الخصـــب ثمّ انتشـــرت في الأرض حـــتّى لتكـــاد أن تغطّيهـــا. ونقصـــد بتوحيـــد الأمّـــة أن تتجـــه في اتّجـــاه واحـــد بغـــضّ النظـــر عـــن تحقّـــق الوحـــدة السياســـيّة أو الاقتصـــاديّة مـــن عـــدم تحقّقهـــا، إنّمـــا نقصـــد هنـــا وحدة روحيّة شاملة، ووحدة توجّه ومسيرة.

سادسًـــا: إنّنـــا نـــرى في الإســـلام الـــذي نعـــترف بأنّـــه مـــرّ في أطـــوار عديـــدة، وعـــانى مـــن انحرافـــات كثـــيرة، أرضًـــا صـــلبة يمكـــن الوقـــوف عليهـــا للنهـــوض للتحـــدّيات الّـــتي نواجههـــا بوصـــفنا أمّـــة واحـــدة، فحضـــارتنا العربيّـــة الإســـلاميّة ضـــربت أمثلـــة في

الـــدمج والشـــمول والســـعي إلى التوافـــق، لدرجـــة أنّهـــا مالـــت إلى التوفيـــق بـــين النقـــائض، وبغـــضّ النظـــر أنّ هـــذا الميـــل الـــدائم إلى التوفيـــق أوصـــلنا في أحيـــان كثـــيرة إلى التلفيـــق، فإنّنـــا ننظـــر إلى نقـــاط في حضـــارتنا كأعمـــدة أســـاس يمكـــن أن نتـــابع البنـــاء عليهـــا، ونشـــترط في اختيـــار تلـــك اللحظـــات العربيّـــة الســـالفة الـــتي نبـــني عليهـــا أن تكـــون لحظـــات اتّحـــاد لا تفرقـــة، ولحظـــات توافـــق لا طغيـــان، معترفـــين أنّ الكمـــال غايـــة لا تـــدرك، ولا يصحّ أن تترك!

ســـابعًا: إنّنـــا ننظـــر إلى تاريـــخ العـــالم بوصـــفه مختـــبرًا للأفكـــار، ونـــدرك أنّ الفكـــرة "الاجتماعيّـــة" هـــي مـــا أفـــاد بـــه الاقتصـــاد الرأسمـــاليّ مـــن النقـــد الماركســـيّ، ومـــا تـــزال أغلـــب دول العـــالم المتقـــدّم-تقنيًّـــا تميـــل إلى الفكـــر الاجتمـــاعيّ والاشـــتراكيّ، ولم تـــزل أغلـــب الاقتصـــادات الكبـــيرة مملوكـــة في معظمهـــا للـــدول لا للشـــركات. ونعلـــم أنّ الاقتصـــاد الليـــبراليّ لا يمكـــن أن يعمـــل بكفـــاءة في الـــدول الصـــغيرة، فمـــن سمـــات الـــولايات المتّحـــدة (وهـــي المثـــال الـــذي يضـــربه النـــاس لتســـويق المنطـــق الليـــبراليّ) أنّهـــا في حـــرب دائمـــة، فـــالحرب تغطّـــى معظـــم تاريخهـــا، وأنّهـــا في حالـــة غـــزو دائـــم لا يتوقّـــف، فـــإن كنّـــا ننشـــد

عالما مسالمًا، فلا بدّ لنا من رفض مبادئ الاقتصاد الليبراليّ والاقتراب من الاقتصاد الاجتماعيّ. مبرّرنا في ذلك أنّنا ننشد التعاون لا التنافس، وأنّنا نعلم أنّ حجم اقتصاداتنا ونوع ثقافاتنا لا يصلح معه النهج الليبراليّ. ويكون هذا مع الانفتاح على نقد الفكر الاشتراكيّ والوعي بمشاكله، ولذلك فنحن نختار "الاجتماعيّة" منطلقا رئيسا من باب رفض الفردانيّة.

هذه هي المنطلقات التي بنيت عليها هذه الدعوة. أمّا الدعوة وتبيانها فهي وإن كانت كامنة في المنطلقات، فإنّها تستحقّ إبانتها وتوضيحها، وتوضيح منهجها بصورة مستقلّة، لكنّ هذا التوضيح يجب أن يفهم في ضوء المنطلقات المبيّنة في الأعلى. وسيكون لنا وقفة أخرى نبيّن فيها الدعوة والمنهج.

رسالة إلى الأحرار من الأمّة العربيّة والبشريّة عمومًا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

أمّا بعد،

فإنّنا وبعد توضيح منطلقاتنا في الرسالة الأولى، ملتزمون بتوضيح الدعوة ومنهجها، فأمّا الدعوة فيجب توضيح ما لا يجوز لها أن تكونه، ونرى أنّ هذا حريّ بالبيان قبل التطرّق إلى توضيح ماهيّتها. وعلى ذلك فنبدأ بتوضيح ما يمكن أن تلتبس به هذه الدعوة ممّا ليس منها:

- هي ليست دينا جديدا، فكلّ من يستجيب لهذه الدعوة يمكن له أن يبقى على دينه أو على إلحاده مهما كان نوع هذا الدين ومهما كان نوع نظرته أو نظرتها لعالم الغيب، لكنّ هذه الدعوة لا يمكن أن تتجاور في قلب واحد مع الأفكار الإلغائيّة سواء أكانت دينيّة أم إلحاديّة، وأكثر الأفكار إلغائيّة هي الليبراليّة الأمريكيّة، وحليفها الإرهاب الدينيّ سواء

أكان العنف البروتستانتيّ المعجون بها عجنا، أو العنف الصهيونيّ الذي تحالفه، أو الداعشيّة الإسلاميّة الّتي تستحثّها وتستغلّها لأهدافها، وكلّ هذا مما نبرّئ الأديان منه، ونراه كِبرًا متلحّفًا بالدين.

- هي ليست مذهبًا إسلاميًّا جديدًا، فإنّ الحركة إذ تختار اسم "المسلمون الاجتماعيّون"، فإنّها لا تعني معتنقي الإسلام بالضرورة، ولكنّها تستلهم الاجتماع الإسلاميّ الذي ضمّ أديانًا مختلفة في تجانس وانسجام سمح ليوحنّا الدمشقيّ أن يكون وزيرًا للماليّة، وسمح ليوليان النصرانيّ أن يكون واليًا على سبتة، وسمح بمستشارين يهود، وكان الفيلسوف الملحد يناقش الفيلسوف المسلم والفيلسوف المسيحيّ في الجامع أمام الناس، فنحن نستعمل اسم "المسلمون" بالمعنى اللغويّ للإسلام وهو "عهد السِلم"، كما ورد في الحديث "المسلم من سلم الناس من لسانه ويده"، وكان يصلح أن تسمّى الحركة "المؤمنون" إذ إنّ الإيمان أيضًا "عهد الأمن"، كما ورد في الحديث "المؤمن من أمنه الناس"،

لكــنّ الكلمــة فشــت في العربيّــة بمعــنى التصــديق، ونحــن في المرحلــة الأولى لا نســتطيع تحقيــق مصــداق هــذه الكلمــة القاضي بحماية الآخرين.

- هــي ليســت حركــة إحيائيّــة ماضــويّة، لكنّهــا تتكــئ علــى لحظــات في تــراث الأمّــة، ومكــامن قوّتهــا، وعينهــا علــى المســتقبل، تأخــذ مــن تاريخهــا مــا يعينهــا علــى عبــور الطريــق إلى مستقبلها.

- هــي ليســت تنويعــا مــن فكــرة الفيلســوف الجيوسياســيّ الروســي ألكســاندر دوغــين "النظريــة الرابعــة في الحكــم"، فهــي وإن تشــابهت معهــا مختلفــة عنهــا بصــورة جذريّــة، إذ إنّ فكــرة دوغــين مســتقبليّة خالصــة، أمّــا نمــوذج "المســلم الاجتمــاعيّ" فهــو نمــوذج حاضــر في التــاريخ في لحظــات متفرّقــة منــيرة، وفكــرة دوغــين تبتعــد عــن الفكــر الاجتمــاعيّ أمّــا فكرتنــا هنــا فتقــترب مــن "الاجتماعيّــة" أيّما اقتراب.

- هي ليست حركة علمانيّة بالمعنى الكلّيّ للعلمانيّة، فهي لا تحارب الأديان ولا تتعهد بالفصل بين الديانات والدولة، لكنّها تتشابك مع الأديان الجمعانيّة كلّها، وترى أنّ الديانة أعطتنا نافذة نطلّ منها على طبيعة النفس البشريّة، لكنّها قد تعدّ علمانيّة إلى حدّ ما بالمعنى الجزئيّ للعلمانيّة الحاضر أصلا في الأديان، فالدين لم يكن مصدر تشريع مستقلّ عن الواقع البشريّ المرصود "العالم"، لكنّه متشابك مع العالم، واعٍ به. الحركة تستلهم من الدين شرط الوعي بالواقع والعلم بطبيعة الأمور، والمقاصد، وفقه النوازل، فترى أنّه من الضروريّ أنّ الحكم على السياسات والأفكار يجب أن يكون مدعومًا بالدليل الواقعيّ العقلانيّ ومرتبطًا بالنتيجة التطبيقيّة لتحقيق المقاصد.

- هي ليست حزبًا سياسيًّا، فالحزب السياسيّ لا بدّ أن يسعى لتولّي مقاليد الحكم، والحركة لا تسعى إلى ذلك، بل تسعى في أن توفّر إلهامًا لمن يحكم أصلًا أو يتولّى

الحكـــم لاحقًـــا، ومـــن يُحكَـــم ليكـــون عقـــدهم الاجتمـــاعيّ على بيّنـــة مـــن أمـــرهم، فمـــن يحكـــم إنّمـــا يحكـــم باســـم نظامـــه السياســـيّ أو حزبـــه، وقـــد يصـــحّ عنـــده أو عنـــد بعـــض النـــاس أن يكـــون ممـــثّلًا لنظرتـــه الدينيّـــة، لكنّـــه لا يمثّـــل فكـــر المسلمين الاجتماعيّين بأيّ حال.

- هـــي ليســـت زمـــرة "كلـــت"، فهـــي لا تـــتحكّم بالمعلومـــات أو المشـــاعر أو الأفكـــار أو الســـلوكات لأيٍّ مـــن أفرادهـــا، ولا تســـعى إلى الســـيطرة علـــى المجموعـــات، لكنّهـــا تـــوفّر محـــض إرشـــاد فكـــريّ وســـلوكيّ، وقـــد تصـــدر بعـــض المجموعـــات الّـــتي تتبـــنّى فكرهـــا مواقـــف راهنـــة متعلّقـــة بشـــأن عـــام، فيكـــون الموقـــف باســـم تلـــك المجموعـــة لا باســـم المسلمين الاجتماعيّين.

عرفنـــا مـــا لا يجـــوز أن تكونـــه هـــذه الحركـــة، فمـــا الـــذي يصـــلح أن تكونه الحركة؟

- الحركـــة تـــرى نفســـها مخرجًـــا مـــن مـــأزق تكـــوّن علـــى مـــرّ القـــرون، إذ تعـــدّدت المـــذاهب بصـــورة طبيعيّـــة حســـب ســـياقات المجتمعـــات المســـتقلّة الـــتي كـــان يـــربط بينهـــا رابـــط

التجـــارة والـــولاء للأمّـــة، ولم يكـــن هـــذا رابطًـــا لحظيًّـــا ليضـــمن تجانسًـــا كلّيًّـــا بـــين مكـــوّنات الأمّـــة، ثمّ بعـــدما تطـــوّرت الحيـــاة وغـــدا الاتّصـــال لحظيًّـــا وبـــدأ الاحتكـــاك بالمـــذاهب الأخـــرى شـــاعت الفـــتن المجتمعيّـــة، وصـــار الجـــدال الـــدينيّ والسياســـيّ يُحمـــل علـــى الـــولاءات الضـــيّقة لا علـــى البحـــث عـــن خـــير الأمّـــة ورفاههـــا. والمخـــرج هنـــا أنّ الفـــرد "المســـلم المجتمعـــيّ" يركّـــز علـــى ولائـــه للاجتمـــاع الإســـلاميّ، وعلـــى فعلـــه في مجتمعـــه المتجـــانس، ويتوقّـــع مـــن الآخـــرين في الأمّـــة أن يســـلكوا الســـلوك ذاتـــه، فـــلا يكـــون ثمّـــة نقـــاش مـــذهبيّ دينـــيّ أو فلســـفيّ ســـوى بـــين المتخصّصـــين المـــدرّبين علـــى الجـــدال والاخـــتلاف، أمّـــا الســـلوك المرفـــوض فهـــو اســـتحلاب ضـــرع المـــذهب للحصـــول علـــى الشـــعبيّة ســـعيًا للاســـتئثار بالحكـــم، فهـــذا ممّـــا يجـــرّ شـــرًّا كبـــيرًا علـــى الأمّـــة. وبهـــذا، فـــإنّ النقـــاش العـــامّ وجـــب أن ينحصـــر في مـــا هـــو عـــامّ فعـــلًا، أي في السياســـات الـــتي تـــؤثّر في معـــاش النـــاس ويُـــدلَّل علـــى الـــرأي فيـــه بمـــا يـــدعم هـــذا الـــرأي مـــن الأدلّـــة العقليّـــة، ومـــا هـــو قابـــل للفحص واقعيًّا.

- الحركة يصلح أن تكون راية عريضة ينضوي تحتها المختلفون الذين يتوافقون على هدف واحد، وإن كان الدافع وراء تبنّي هذا الهدف الواحد مختلفًا. فإنّك يندر أن تجد مسلمًا أو عربيًّا لا يرى تحرير الأرض المحتلّة واجبًا وهدفًا صالحًا، لكنّ الاختلافات التي يرثها الناس من الولاءات الأخرى تحدّ من قدرتهم على الاتّحاد في سبيل هذا الهدف، ويعزّز هذا الاختلافَ النقاشاتُ الأخرى المتعلّقة بأخبار الغيب، والشقُّ عن القلوب وتخرّصُ النوايا. لذا، فإنّ هذه الحركة سبيلٌ للاتّحاد والاجتماع وطريقة لتنحية كلّ هذه النقاشات جانبًا.
- هذه الحركة تصلح أن تكون وثيقة مفتوحة المصدر للجماعات الّتي تبحث عن عقد اجتماعيّ يحكم تفاعلاتها، فإذا أسّسوا تعاونيّة، أو توافقوا في قرية على صورة من صور التعاون، أو تحالفت دولتان مختلفتا المذهب، فإنّ الأطراف المذكورة يمكن لها أن تأخذ هذه البذرة الفكريّة وتنمّيها لتكون شجرة تظلّل الأطراف جميعها فتصبح كلمةً سواءً بينهم.

فما هي على الحقيقة؟

"المسلمون الاجتماعيّون" حركة فكريّة اجتماعيّة تركّز على المستقبل، تستلهم الاجتماع الإسلاميّ في لحظات تعدّديّته وثرائه، وتعادي الإلغائيّة بأشكالها، لا سيّما الإلغائيّة الليبراليّة التي تصل إلى الأفراد فتفكّك البنى الاجتماعيّة القائمة لتذوّبها فيها محوّلةً إيّاها لأمور متحفيّة فلكلورية محضة، وتنزع الفرد من سياقه الثقافيّ التاريخيّ.

تصدّق الحركة بطبيعة الإنسان المتجاوزة للبيولوجيا، وطبيعة المجتمعات المتجاوزة لواقعها، وقدرة الإنسان على الحلم، وكمون إنسانيّته في السعي إلى هدف، وكمون العقد الاجتماعيّ في السعي إلى هدف مشترك، وترى الإنسان في مجتمعه، كما ترى المجتمع في أفراده.

تعلي الحركة من شأن العدالة، وتساوي بين الناس في الحقوق والواجبات، غير أنّها ترى أنّ الحديث في الحقوق والحرّيّات اتّخذ متّجهًا مضلّلًا، فالأصل في الثقافات الجماعيّة أنّها تبحث في واجبات الفرد تجاه مجتمعه وأفراد مجتمعه، وواجبات المجتمع تجاه أفراده وغيره من المجتمعات، أي إنّها تغطّي الحقوق من باب الواجبات، فهي تراعي

"حقوق الناس" قبل "حقوق الإنسان"، وتهتمّ بحقوق الناس كلّهم حتّى الذين لم يولدوا بعد، إذ هي ترى من واجب الإنسان أن يحافظ على العطايا التي مُنحها، وأن يحرص على أن يعمر ولا يهلك، وأن يبني ولا يهدم، إلّا أن يكون الهدم ضرورةً لا مجال للالتفاف عليها.

يبقى علينا لاكتمال البيان توضيح منهج هذه الدعوة، وهذا ما نتناوله في الرسالة الثالثة.

رسالة إلى الأحرار من الأمّة العربيّة والبشريّة عمومًا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

أمّا بعد،

فإنّ اختيار منهج لدعوة ما مقرون بماهيّة هذه الدعوة، ومن أوّل علامات الضلال في دعوة ما أن ترى أنّ منهجها يخالف مقتضيات مبادئها. وإنّ السعة الحاضرة في ماهيّة دعوة "المسلمين الاجتماعيّين" يجب أن تفرض نفسها على صورة سعة في المنهج، فدربنا درب عريضة أو مَهيع متّصل، لا تعرّج فيه ولا التفاف ولا سرّيّة.

والمنهج العريض لا يوضّح بمعالمه هو، بل يوضّح بحدوده، أي بما يخرج عنه، أو بما يَدُلّ المسترشد به على أنّه جانب جادّته وسار مسترشدًا بالهوى والأمانيّ. وإليكم بيان ما لا يجوز أن يكون في منهجنا في هذه الدعوة:

- السرّيّة: لا يجوز لمن يتبنّى هذه الدعوة أن ينتهج السرّيّة فيها، فليس فيها ما هو سرّيّ أو ما يتقضي السرّيّة.

هـــذا عـــدا عـــن الســـلبيّات الكثـــيرة في انتهـــاج الســـرّيّة علـــى الحركـــات الفكريّـــة، الثوريّـــة والإصـــلاحيّة، فهـــي طـــال مـــا كانـــت الســـبيل إلى الخـــداع والانتهازيّـــة والتـــآمر. أمّـــا أن يكـــون في ســـياق الفـــرد أو المجموعـــة مـــا يقضـــي علـــيهم أن ينتهجـــوا الســـرّيّة فهـــذا ينحصـــر في إطـــاره، ولا يجـــوز تعميمه على فكرة حركة "المسلمين الاجتماعيّين".

- التصـــويتيّة: لا يحـــقّ بحـــال أن تتحـــوّل منطلقـــات الحركـــة أو ماهيّـــة دعوتهـــا أو منهجهـــا العـــامّ إلى أمـــر يخضـــع للتصـــويت، وإن كـــان التصـــويت حاضـــرًا فيمـــا يصـــحّ فيـــه التصـــويت، كـــأن تقـــرّ دولـــة مـــا سياســـة مـــا، لكـــنّ هـــذا متعلّـــق بالدولـــة وعملهـــا، أو بالمجموعـــة وعملهـــا، أو بالقرية مثلا، لكنّه ليس أمرًا بنيويًّا في الحركة الواسعة.

- الإلغائيّـــة: لـــيس مـــن مـــنهج الحركـــة إلغـــاء الآخـــرين، فـــلا يجـــوز أن يصـــدر مـــن مســـلم اجتمـــاعيّ نفـــي لانتمـــاء مســـلم اجتمـــاعيّ آخـــر إلى الحركـــة، لكنّـــه إن رأى مـــا يخـــالف المـــنهج أو المنطلقـــات أشـــار لموضـــع المخالفـــة حصـــرا،

وقارع الفكرة بالفكرة، وترك لمحاوره وسامعيه أن يحكموا، لكنّه يحرص ألّا يرمي الناس بأنّهم خارج الحركة. ومن قبيل ذلك أيضًا منع كلّ ما يستفزّ النعرات المناطقيّة والمذهبيّة والطائفيّة والعرقيّة وما ينتج عنها، فلا يجوز للمسلم الاجتماعيّ تعميم السباب على جماعة داخل أمّته، بل لا يجدر به التعميم على الشخوص مطلقا، فإذا لم يجد بدًّا من النقد اقتصر نقده على الأفكار، منطلقا من انتمائه لجماعة ما، لا من كونه مسلمًا اجتماعيًّا.

- العنف: الحركة الفكريّة لا بدّ لها أن تبقى حركة فكريّة، والعنف والقسر والإجبار هي أفعال منافية لطبيعة الفكر، فمن يتّخذ مسلكًا عنيفًا في سياق ما، فإنّه يتّخذه ضمن ذلك السياق لا ضمن سياق حركة المسلمين الاجتماعيّين. وبطبيعة الحال، فإنّ هذا لا يجب أن يترجم على أنّ الحركة حركة لا-عنفية، فهي ليست دعوة لنبذ العنف، وإنّنا نفهم أنّ التدافع الإنسانيّ يقتضي العنف أحيانًا، لكنّ هذا العنف أو

سواه ليس من منهج الحركة الفكريّة، بل هو من سياقات المجتمعات وتدافعها.

- هدم البنى القائمة: ليس في منهج الحركة التعرّض إلى البنى الجماعيّة القائمة بنقض أفكارها، لا سيّما ممّا لا يصلح أن يكون ميدانًا للنقاش من الأفكار الغيبيّة، أو النوايا، لكنّ المسلم الاجتماعيّ ينظر البناء الاجتماعيّ القائم على أنّه فرصة وحقّ من حقوق الناس أن يجتمعوا على أمر. فإذا وجد في هذا الاجتماع ما يستحقّ النقد، نقده بوصفه مراقبا أو مصلحا أو ثائرا حسب ميله الشخصيّ، لكنّه لا يتقصّد هدمه بوصفه مسلما اجتماعيًّا.

- دعوات السلام مع أعداء الأمّة: لا يكون المرء "مسلمًا اجتماعيًّا" حين يناقض مصلحة الأمّة في تحرير أرضها من الاحتلال وتحرير الناس من الهيمنة، أو السعي إلى التحرير، أو تخيّله والحلم به. وإذا كانت الحركة في صميمها موجّهة ضدّ الإلغاء بأشكاله: التذويبيّ

الليـــبراليّ، والإحـــلاليّ الصـــهيونيّ، والرجعـــيّ الإســـلاميّ أو المســـيحيّ، فإنّهـــا مجبولـــة بـــدعوى رفـــض القبـــول بالظلـــم، فـــوق تأييـــدها حـــقّ النـــاس في تحريـــر أرضـــهم واســـتعادة مقدّراتهم.

- حـــرق المراحـــل: لـــيس مقبـــولًا في مـــنهج دعوتنـــا انتهـــاجُ سياســـة حـــرق المراحـــل، والقفـــز عـــن الخطـــوات الضـــروريّة مـــن الإعـــلان والنقـــد والإنتـــاج النظـــريّ والمعـــرفيّ، وبنـــاء التحالفـــات وصـــيانتها، ومراكمـــة الإنجـــازات الصـــغيرة، ثمّ المتوسّـــطة، ثمّ الكبـــيرة، حـــتّى تبلـــور شـــعور الانتمـــاء إلى الأمّة بصورة راسخة لا تنافسها الانتماءات الفرعيّة.

- تقـــديس الشـــخوص: لـــيس مقبـــولًا في مـــنهج دعـــوة المســـلمين الاجتمـــاعيّين أن يُرفـــع أحـــدهم أو إحـــداهنّ إلى مرتبـــة لا يجـــوز فيهـــا نقـــاش أفكـــاره بنـــاء علـــى كونهـــا أفكـــارًا ابتـــداءً، وإن كانـــت الإســـاءة إلى الأشـــخاص خـــارج منهجنـــا، فـــإنّ جعـــل الأشـــخاص مقياسًـــا يقـــاس بـــه الحـــقّ مرفوض رفضًا مطلقًا.

تنتهج الحركة استراتيجيّات رئيسة للدعوة إلى منهجها:

- المصارحة والصدق: يصرّح المسلم الاجتماعيّ بكلّ وضوح للجميع بانتمائه إلى الحركة بمجرّد أن يجد في قبله قبولًا لمنطلقاتها ودعوتها ومنهجها، ولا يخاف من أن يحكم عليه بالزندقة أو الكفر أو الإلحاد أو التديّن أو التطرّف أو أيّ كان من التهم المختلفة، وفي الحركة السعة الكافية له أن يحافظ على نظرته للكون خارج النقاش سواء أكانت دينيّة أم إلحاديّة، فهو قد يكون مسلمًا سنّيًّا أو مسيحيًّا كاثوليكيًّا أو مسلمًا شيعيًّا أو ملحدًا أو سوى ذلك. هو هنا يعبّر عن كونه منتميًا للأمّة وللحظاتها المضيئة، ومعاديًا لليبراليّة والإلغاء.

- المراسلة والمكاتبة: يعطي المسلم الاجتماعيّ الأولويّة للكتابة بين سبل الدعوة، ولا يفضّل الوسائط الأخرى عليها إن أمكنت، فالكتابة أجدر بألّا تجتزأ أو تحرّف أو يساء فهمها، وتكون مكاتباته واضحة تامّة غير مجتزأة، ويفضّل الصيغ الطويلة على الردود القصيرة، إذ

يـــدرك أنّ الاقتباســـات والـــردود القصـــيرة أجـــدر بألّا تفهـــم، كمـــا يفضّـــل مخاطبـــة الشـــخص أو المجموعـــة بعينهـــا لا بالكتابة الموجّهة للقارئ العامّ.

- تجنّـــب المحـــاورات الجدليّـــة: يتأكّـــد المســـلم الاجتمـــاعيّ مـــن أنّ طبيعـــة الحـــوار مـــع نظـــيره بعيـــدة عـــن المِـــراء قبـــل الشـــروع في بيـــان موقفـــه فـــإذا اطمـــأنّ إلى ذلـــك لم يمـــانع بأن يُســـأل فيجيـــب، ويســـأَل فيجـــاب، فـــإذا بـــدر مـــن الطـــرف الآخـــر مـــا يســـتجلب الـــردود القصـــيرة امتنـــع عـــن الـــردّ واعـــترض على سير الحوار.

- اســـتغلال الفضـــول: يســـتثير المســـلم الاجتمـــاعيّ فضـــول محـــاوره عـــن كونـــه متّبعًـــا لمـــذهب مـــا أو ديانـــة مـــا وفي الوقـــت ذاتـــه يـــرى نفســـه "مســـلمًا اجتماعيًّـــا" ليوضّـــح مـــا يـــرى في توضـــيحه مصـــلحة عـــن الحركـــة وفكرهـــا، ويؤكّـــد علـــى ضرورة قراءة أدبيّاتها وعدم الاكتفاء بما قاله.

- التركيز على الاجتماعيّة: يركّز المسلم الاجتماعيّ على البعد الجماعيّ للحركة ولدعوتها، وينفي بصورة قاطعة أن تكون هذه الحركة محاولة لتفريغ الإسلام من حمولته الغيبيّة، لكنّه يؤكّد في الوقت ذاته على أنّ الحركة في ذاتها خالية من الحمولات الغيبيّة سوى اعتناقها لفكرة وجود طبيعة بشريّة يمكن استنتاج القيم المشتركة منها حتّى مع تعذّر الكشف عنها بصورة كاملة، وأنّها تترك للأفراد والجماعات حرّيّة اعتناق الأفكار الغيبيّة الخاصّة بهم، وأنّها معنيّة بتحقيق شروط اجتماع الأمّة، وبما تقتضيه مبادئ الاجتماعيّة من تمكين المجتمع من مصالحه.

- التركيز على فلسفة الواجب: يركّز المسلم الاجتماعيّ على واجبه هو، وعلى واجبات الناس تجاه بعضهم، وعلى حقوقهم عليه، لا على حقوقه هو عليهم، ولا يتناول العدالة من زاوية حقوق الفرد ما أمكنه ذلك، فهو يتحدّث إذ يتحدّث منطلقا من واجب يقع على

عاتقه تجاه الجماعة ويؤكّد على ذلك، لا من باب "حقّه في التعبير" مع أنّه حقّ مصون لدينا.

- البحث عمّا يجمع: يبحث المسلم الاجتماعيّ عن الأمور الجامعة لا عن الفروق والتمايز، فهو معنيّ بالتجميع ومعنيّ برفض الفرقة والفتن، ويظلّ مواظبًا على ذلك حتّى إذا ما كشّر غيره عن أنيابه وصرّح بالرفض والتكفير، ردّ بكلام هادئ يطلبه أن يعيد النظر وأن يهدأ وذكّره بما يجمعهما من أخوّة في الدين أو الوطن أو صلة القرابة أو الانتماء إلى الجماعة والبحث عن خيرها.

- تقديم الجماعة على الفرد: يقدّم المسلم الاجتماعيّ الجماعة على الفرد، ويعطي الأولويّة للنشاط الجماعيّ على النشاط الفرديّ إذا كانا من الجنس نفسه، ويرى أنّ محض الاجتماع والعمل في جماعة والكينونة في جماعة أمر إيجابيّ يؤخذ في الحسبان عندما يريد أن يقرّر أين يكون أو ماذا يفعل.

هي حركة من أجل خير الإنسانيّة، الخير الذي طلبه الأنبياء والرسل، ونادى به الصالحون، وينادي به كلّ إنسان صادق في إنسانيّته، رافض للظلم حيث كان، فقد نادى به مصدّقون بالغيب على تنوّع صورته لديهم ومنكرون له، وهو سبيل للوحدة والاجتماع، ولوأد الفتن ورفض المعتدين المغالين الإلغائيين، ورفض ذوبان الجماعات في ليبراليّة تتركنا أفرادًا نهبًا لتوحّش رأس المال ودهاقنة السلطة وهوامير السوق.

نسأل الله أن تلقى قَبولًا في أمّتنا فيكتب لها بها خيرًا كثيرًا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حرّر في الثالث من جمادى الآخرة
الموافق للسادس عشر من كانون الأول
في العام الثالث والعشرين بعد الألف الثاني لميلاد المسيح